

أضواء البيان

@ 262 @ وجه المفاعلة أن الكفار يستعملون كل ما في إمكانهم لإضرارهم بالمؤمنين ، وإيذائهم ، وإلّا جل وعلا يدفع كيدهم عن المؤمنين ، فكان دفعه جل وعلا لقوة عظيمة أهلها في طغيان شديد ، يحاولون إلحاق الضرر بالمؤمنين وبهذا الاعتبار كان التعبير بالمفاعلة ، في قوله : يدافع ، وإن كان جل وعلا قادراً على إهلاكهم ، ودفع شرهم عن عباده المؤمنين ، ومما يوضح هذا المعنى الذي أشرنا إليه قول كعب بن مالك رضي الله عنه : والجواب : هو ما عرف من أن المفاعلة قد ترد بمعنى المجرد ، نحو : جاوزت المكان بمعنى جزته ، وعاقبت اللص ، وسافرت ، وعافاك ، ونحو ذلك ، فإن فاعل في جميع ذلك بمعنى المجرد ، وعليه فقولته : يدافع بمعنى : يدفع . كما دلت عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وقال الزمخشري : ومن قرأ يدافع فمعناه : يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يبالغ فيه لأن فعل المبالغ يجيء أقوى وأبلغ اه منه ، ولا يبعد عندي أن يكون وجه المفاعلة أن الكفار يستعملون كل ما في إمكانهم لإضرارهم بالمؤمنين ، وإيذائهم ، وإلّا جل وعلا يدفع كيدهم عن المؤمنين ، فكان دفعه جل وعلا لقوة عظيمة أهلها في طغيان شديد ، يحاولون إلحاق الضرر بالمؤمنين وبهذا الاعتبار كان التعبير بالمفاعلة ، في قوله : يدافع ، وإن كان جل وعلا قادراً على إهلاكهم ، ودفع شرهم عن عباده المؤمنين ، ومما يوضح هذا المعنى الذي أشرنا إليه قول كعب بن مالك رضي الله عنه : (زعمت سخينة أن ستغلب ربها % وليغلبن مغالب الغلاب) % . والعلم عند الله تعالى : ومفعول يدافع : محذوف فعلى القول بأنه بمعنى : يدفع فقد ذكرنا تقديره ، وعلى ما أشرنا إليه أخيراً فتقدير المفعول : يدافع عنهم أعداءهم ، وخصومهم فيرد كيدهم في نحورهم . . .

وقوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ } . صرح جل وعلا في هذه الآية الكريمة : بأنه لا يحب كل خوان كفور . والخوان والكفور كلاهما صيغة مبالغة ، لأن الفعل بالتضعيف والفعل بفتح الفاء من صيغ المبالغة ، والمقرر في علم العربية أن نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي أصل الفعل ، فلو قلت : زيد ليس بقتال للرجال فقد نفيت مبالغته ، في قتلهم ، ولم يستلزم ذلك أنه لم يحصل منه قتل لبعضهم ولكنه لم يبالغ في القتل ، وعلى هذه القاعدة العربية المعروفة ، فإن الآية قد صرحت بأن الله لا يحب المبالغين في الكفر والمبالغين في الخيانة ، ولم تتعرض لمن يتصف بمطلق الخيانة ومطلق الكفر من غير مبالغة فيهما ، ولا شك أن الله يبغض الخائن مطلقاً ، والكافر مطلقاً ، وقد أوضح جل وعلا ذلك في بعض المواضع ، فقال في الخائن : { وَإِلِمًّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ }

خِيَانَةً فَإِنِ بُدِذُوا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ مِنَ اللَّسَّةِ لَا يُحِبُّوا الْخَائِنِينَ {
وقال في الكافر : { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فإِن
اللَّسَّةَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } . .

قوله تعالى : { أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ طُلُمُومًا وَإِن
اللَّسَّةَ عَلَىٰ نَمْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } . متعلق أذن محذوف في هذه الآية الكريمة : أي أذن
لهم في القتال بدليل قوله : يقاتلون ، وقد صرح جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه أذن
للذين يقاتلون وهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ ودل قوله : يقاتلون : على أن
المراد من يصلح للقتال منهم دون من لا يصلح له ، كالأعمى والأعرج والمريض والضعيف والعاجز
عن السفر للجهاد لفقره